المسمار

كائن مهمش على الجدران، خلف
الأبواب أو حلقة وصل بين شيئين..
هو صغير بحجمه..كبير بعمله.
ساهم في إنقاذ البشرية من طوفان
مهلك، عندما حمل نوح عليه
السلام صفوة الكائنات على ذات
ألواح ودسر.
دسر ومسامير اسمان لأهم اختراع
عرفته البشرية وأنقذها. بين
أنواعه وحكاياته تطوف بنا
نانسي أبو حوسة في هذا الملف
وكل صفحة معلومة تثبتها بمسمار
لا يجرح ولا يؤلم.

حكاية المسمار

هزكييل ريد

يُعد المسمار من أقدم الأدوات المهنية التي اخترعها الإنسان منذ القدم، كما أنه من أصغرها حجماً. ويعود اكتشاف المسمار إلى أكثر من خمسة آلاف سنة مضت عندما خرج من بين بلاد فارس والأناضول. وكان يُصنع من العظم والخشب اليابس ومن ثم تطور مع ازدهار البشرية. وبقيت المسامير مختبئة وراء الكواليس في العلوم الصناعية حتى عام 1606م، عندما حاز المخترع بولمر بيفيس الإنجليزي براءة اختراع عن جهازه الميكانيكي لتقطيع الحديد وصقل المسامير بأحجام مختلفة. ومع بداية الثورة الصناعية في أواخر القرن الثامن عشر، توالت الاختراعات المتعلقة بالمسمار في ولاية ماساتشوستس الأمريكية. ففي عام 1786م اخترع هزكييل ريد آلة لصنع المسامير، وفي عام 1795م حاز جاكوب بيركنز براءة اختراع آلة لصنع المسامير قطعة واحدة، أي الرأس والجذع في عملية واحدة. وشكّل هذا الجهاز ثورة حقيقية في عالم الصناعة، إذ وفّرت هذه الطريقة من عملية التلحيم الحراري لأجزاء المسمار، وجعل إنتاج المسامير يصل إلى مئتي ألف مسمار في اليوم الواحد.

في عام 1851م أنتج الصناعي وليام هرسيل آلة لصنع المسامير باستخدام الخيوط المعدنية من الفولاذ، والتي تتميز بقدرتها على تحمل الضغط من الأوزان المختلفة، وكذلك التغيرات المناخية المتقلبة. ومنذ ذلك اليوم انتشرت الطريقة الثورية الجديدة في صناعة المسامير وأصبح أثرها دقيقاً، إذ لا يشترط أن يستخدمها نجار ماهر.

في يومنا هذا تُصنع معظم المسامير من الأسلاك المعدنية المختلفة على حسب أسباب استخداماتها، كما أصبح هناك أكثر من ثلاث مئة صنف من المسامير المتوافرة.

أكذب مسمارين.. مسامير العذاب

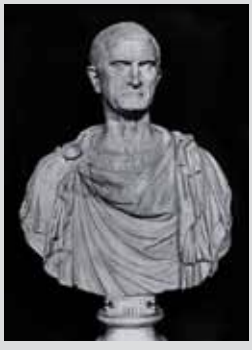
ماركوس ليسينيوس

للمسامير قصص تاريخية ودينية، ولعل القصة المزعومة لصلب المسيح بطلها مسماران دقا بشراسة فوق كفي المسيح المزعوم لتثبيته على الصليب. ظهر هذان المسماران في أغلب الأيقونات المسيحية التي تمثل المسيح مصلوباً. فالمسامير من أقسى أنواع أدوات التعذيب وأبشعها. لذا نجد قصص تعذيب كثيرة أبطالها مسامير. ففي إسبانيا في القرن الخامس عشر، إبان محاكم التفتيش، كان المسمار بطلاً من أبطال أدوات التعذيب، فكان المتهم ليدلي باعتراف ما يساق إلى غرف التعذيب القاسية التي يلقى فيها صنوف العذاب، وعندما لا يعترف أو لا يوجد عنده شيء يعترف به، فإنه لا بد أن يمر على المسمار المسنون والمحمي في النار لتفقأ به عيناه. كما كان كرسي المسامير في القرون الوسطى وحتى نهاية القرن الثامن عشر يثير الفزع لمجرد ذكر اسمه، في إيطاليا وإسبانيا وفرنسا. حيث كان عبارة عن كرسي من خشب زرعت في مقعده ومسنده مسامير حادة، ومزود بأحزمة تضييق المكان عند جلوس الضحية. وكانوا أحياناً يقومون بتسخين هذه المسامير، ما يجعل القيام منه عذاباً والجلوس عليه موتاً!

ربما كان ماركوس ليسينيوس (112-53 ق.م) القائد الروماني هو أكثر من استخدم المسامير، ويقال من باب الطرافة المؤلمة أنه هو من أنعش صناعة المسامير، حيث استخدم أكثر من عشرين ألف مسمار من الحجم الكبير وهو في طريقه من روما إلى كابو، وذلك لصلب ستة آلاف عبد زهواً بانتصاراته.

الكتابة المسمارية..
أول خطوط التدوين

شكل اختراع الكتابة أهم الأحداث في التاريخ الفكري للإنسان، فهي الحد الذي بدأ عنده توثيق التاريخ منذ اختراعها حتى يومنا هذا. والكتابة المسمارية هي اللغة المكتوبة للغة الآكادية التي تعدّ من اللغات الساميّة كالعربية والآشورية والبابلية والعبرية. وأصبحت اللغة الآكادية أم اللغات المكتوبة والمقروءة معاً بمفهوم اللغات المعقد كونها أوّل محاولة لممارسة الكتابة، فكانت تنقش فوق ألواح الطين والحجر وغيرها من الأسطح التي كانت متوافرة قبل ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد، أي قبل ظهور الأبجدية بـ1500 سنة، وظلت سائدة حتى القرن الأول ميلادي. وظهرت أولاً في جنوب بلاد الرافدين وكان يتكلمها البابليون والآشوريون ولا تمت بصلة إلى أي لغة معاصرة. كما كانت اللغة المعتمدة لدى الشعوب القديمة بجنوب غربي آسيا.

وسميت اللغة بالمسمارية لأنها كانت تكتب بطريقة النحت على الحجر بالمسامير، وتم اعتمادها في تلك الفترة التاريخية كلغة مكتوبة للغة الآكادية.

في القرن التاسع عشر تمكن مجموعة من الباحثين وعلماء الآثار من فك رموز الكتابة المسمارية ومحتوى نصوصها التثقيفية، إذ احتوت على العديد من التعليمات الإدارية والتاريخية والفلكية والطلاسم والقواميس المسمارية التي جمعت وحدها ما يعادل 130000 لوح طيني موجود في المتحف البريطاني في سوريا.

وازدهـرت الكتابة المسمارية إبـان حكم الملك حمورابي (1728– 1686ق.م) وانتشرت بين الناس في تلك الفترة، وأصبحت اللغة الرسمية في المعاملات وفي الشؤون الحياتية العامة كالمعاملات التجارية والمراسلات، ونصوص الأدب، والشؤون الدينية والعبادات.

وكان أوج ازدهارها عندما أمر حمورابي بجمع العلوم وتدوينها، ما ساهم في انتقال الحضارة من بلاد الرافدين إلى جميع أنحاء البلدان المجاورة وإلى أطراف العالم القديم. أما الملك آشوربانيبال الذي كان يعد من أكثر ملوك العهد الآشوري ثقافة (668–626ق.م) فكان له الدور في نسخ الكتب وتجميعها على الألواح الطينية. فجمع الكتب من أنحاء البلاد وخزنها في دار كتب خاصة طلب تشييدها في نينوى بالعراق. أما أداة الكتابة المسمارية فكانت عجينة الصلصال التي تتم الكتابة عليها وهي لينة ومن ثم تحرق لتتصلب.

واستغرق تطور اللغة المسمارية آلاف السنين تميّزت في ثلاث مراحل أساسية، بينما ألهمت في جميع مراحل تطورها العديد من الحضارات التي تأثرت وأثرت بها. وهذه المراحل هي:

المرحلة الصوريّة: وهي أولى مراحل جميع الكتابات المعروفة حول العالم. وسميت بذلك لأنها تصور بشكل تقريبي الأشياء المادية بمبدأ الرسم نفسه. أما مضامين النصوص المكتشفة فكانت بمعظمها تتناول الشؤون الاقتصادية. أما الجزء الآخر فكان لأهداف لغوية تعليمية.

المرحلة الرمزية: في هذه المرحلة تغيرت العلامات الصورية وأصبح الكاتب يكتفي بالتعبير عن الأشياء بشكل رمزي. وكان السبب الرئيس وراء تطوير المسمارية بهذا الاتجاه حتى تصبح الطريقة الصورية من الممكن قراءتها بأي طريقة وبغض النظر عن لغة كاتبها.

المرحلة الصوتية: وهي آخر المراحل وأهمها التي مرت بها الكتابة المسمارية وأكثرها تطوراً، وتم الدمج بين الطريقتين الصورية والرمزية، بالإضافة إلى ابتكار طريقة جديدة تساعد على كتابة أسماء الأعلام واستخدام صيغ الأفعال، والربط بين أجزاء الجملة الواحدة. وبذلك أصبحت المسمارية أول من ابتكر الطريقة الصوتية في الكتابة، والتي انتشرت فيما بعد في أنحاء العالم كافة لسهولة تعلمها وكتابتها.

المسمار في الهندسة

والمِسْمارُ هو: (ما شُدَّ به) كما ورد في «لسان العرب» ويستخدم بشكل رئيس في مجالي النجارة والبناء لوصل العناصر الإنشائية مع بعضها بعضاً. وهو دبوس معدني حاد الشكل يُصنع من الصلب وكبريتات الحديد أو الألومنيوم، ويسمى أيضاً بالدبوس أو المشبك. ويرتبط عمل المسمار مع المطرقة لذلك غالباً ما يكون رأسه مسطّحاً على عكس سنّه الإزميلي.

أنواع المسامير

للمسامير أنواع عديدة فهو أبو الحضارة دون منازع.. هو الوصل بين الحديد والحديد.. بين الخشب والحديد أو الخشب والخشب.. أنواعه تجعل منه الجندي المجهول الذي يختفي بين السطح والباطن ليشكل توليفة من عمل خلاّق.

مسامير البرشام Rivets

تستعمل مسامير البرشام لربط قطاعات الحديد ببعضها. ونوع البرشام الشائع الاستعمال هو ذات القصبة والرأس الكروية. ولولا هذه المسامير لما أنشئت ناطحات السحاب.

مسامير الربط وصواميلها Bolts and Nuts

تصنع مسامير الربط من الحديد الأسود المطاوع وتستعمل في ربط قطاعات الحديد بالموقع. حيث تدخل قصبة المسمار في الثقوب المجهزة بقطاعات الحديد المراد ربطها، ثم تربط نهاية قصبة المسمار الرابط بالصامولة الخاصة به، ثم يحكم الربط عليها. ولولا هذه المسامير لما رأينا سيارة تمشي في الطريق.

مسمار القلاووظ

القلاووظ هو مسمار ذو مستوى مائل ملفوف بشكل لولبي حول عمود، تم تطويرها في العصور القديمة ويسمى أيضًا البرغي أو المسمار اللولبي. يوجد أنواع وقياسات مختلفة من البراغي وكذلك المادة المصنوعة منها. فقد يكون البرغي مصنوعاً من الحديد العادي أو الحديد المغلفن أو البراص أو الألومنيوم أو البلاستك، ولكل منها استخداماته الخاصة. كما أن أنواع المسامير الموجودة في الأسواق والمستخدمة في الصناعة تعد بالآلاف ويحكمها نوع مادتها وطولها وقطرها ونوع تسنينها.

برج إيفل

مليونان ونصف المليون من المسامير تقوم بعملية ربط أضخم وأكبر برج حديدي في العالم، إنه برج إيفل أعجوبة الحديد والمسامير، ورمز مدينة النور باريس.

القذائف المسمارية (الفلاشيت)

وهي نوع من الذخيرة التي يتم إطلاقها عادة من الدبابات الحربية، وتعمل آليتها على أساس أن تطلق في الهواء لتنفجر في مكان عالٍ، لتطلق آلاف القطع المعدنية بطول يصل إلى 3.75سم كالمسامير. وما يزيد من مقدار شرّها هو قدرة القذيفة على الارتفاع إلى حوالي 300 متر لتصل المساحة المستهدفة إلى قطر يبلغ طوله 90 متراً. ومن المعروف استخدام الجيش الإسرائيلي للقذائف المسمارية بأبشع قدراتها حيث تكمن الأفضلية العسكرية في القذائف المسمارية في قدرتها على اختراق العوازل وإصابة كل من يقع في محيطها دون استثناء. ولا يزال الآلاف من الأطفال والنساء في فلسطين ولبنان يحملون آثار استعمال الجيش الإسرائيلي لقذائف الفلاشيت. وعلى الرغم من أن القذائف المسمارية ليست محرمة دولياً بشكل صريح في القانون الإنساني الدولي، إلا أن استخدامها واجه العديد من التنديدات في الأوساط الحقوقية ولدى لجان حقوق الإنسان. وذلك نظراً إلى مداها الواسع الذي يطال الأبرياء ويبدو أشبه بإطلاق النارعشوائياً و دون تمييز.

الجسور المعدنية ذات المسامير

جميعنا يسمع بالوجبات السريعة، لكن قلّة منّا قد سمع بالجسور السريعة. إن الجسور في المدن هي فرجة من الاكتظاظ والازدحامات المرورية، لذا بعض المدن تحتاج أحياناً إلى حلول سريعة وجذرية. ولا يتأتى ذلك إلا بالجسور المسمارية!

يتميّز هذا النوع من الجسور بسرعة تنفيذه وسهولته. ويعيب هذا النوع وجود احتياطات شديدة لضمان دقة تنفيذ الوصلات، وخصوصاً عندما يكون تجميع الوصلات باستخدام المسامير. يتم عمل فتحات المسامير داخل المصنع، ويراعى تثبيت الصواميل بأجهزة خاصة لتطبيق العزوم نفسها على جميع الصواميل، بحيث لا يكون عرضة للانهيار. ولعل جسر نانبو في الصين الذي استغرق بناؤه ثلاث سنوات ويعد زمناً قياسياً بالنسبة لتصميمه الذي ربما استغرق عشر سنوات. إن هذا الجسر الذي اسُتخدمت فيه تقنية عالية تجلت في مساميره التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ الجسور.

المدرسة المسمارية في دمشق

للمدرسة المسمارية في الشام جانبان مهمان، أحدهما معنوي ديني، والآخر هندسي معماري. تقع المدرسة في قلب مدينة دمشق القديمة وبين أسوارها الأثرية بالقرب من الجامع الأموي العتيق. وهي المدرسة الأثرية التي تم تشييدها في عهد دولة المماليك بجوار جامع الشيخ مسمار، وهو مؤسسها ويُدعى حسن بن مسمار الحوراني الذي توفي سنة 546 للهجرة. وتم بناء المدرسة كما المسجد وقفاً، لذلك تم ترميمهما معاً وتجديدهما وقفاً أيضاً وجُعل لها إمامين ومؤذناً.

وفيما اليوم هي مجرد معلم أثري كانت المدرسة المسمارية صرحاً تعليمياً استفاد منه آلاف التلاميذ الذين توالوا عليها.وكان الشيخ مسمار طالباً مجداً للعلم مائلاً للمذهب الحنبلي على عكس المذاهب التي كانت سائدة في بلاد الشام في تلك الفترة، فكان يصلي بجامع دمشق التراويح بحلقة الحنابلة ويحضر دروسهم ويتردد على مجالسهم. وعندما توفي أستاذه الشيخ أسعد بن المنجا بنى المسجد ومن ثم المدرسة وجعل وقفهما له.

أمّا بالنسبة لتصميمها المعماري فبالرغم من عمليات الترميم بالمواد الحديثة كالحجر الصناعي والألواح الرخامية، إلا أنها لا تزال محتفظة بمعالمها القديمة. ولعل أبرز معالمها هذه المئذنة الجميلة في الجهة الغربية ذات شكل مربع أيوبي الطراز، من حيث البساطة والارتفاع. في نهاية المئذنة من الجهة السفلى هناك شرفة خشبية وحيدة مثمنة الأضلاع تغطيها مظلة خشبية بارزة تم ترميمها على شكل مخروطي يحاكي الطراز العثماني. هذا وتم توثيق المدرسة المطلة على جادة القيمرية في عام 2006م ضمن المباني الأثرية العالمية في مدينة دمشق تحت اسم المدرسة المسمارية، وذلك في كتاب العمارة والمجتمع العثماني في مدينة دمشق بالقرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين.

المسمار في التراث الشعبي

«التمر مسامير الركب» من الحكم القديمة التي تناولها الأجداد في منطقة نجد، وتعني أن تناول التمر تحسن الصحة وتجعل الركبة كالوتد الذي يدعم الجسد. ومن المعروف أن الرُكب الضعيفة هي من علامات الهرم والكبر. كما أن التمر يلتهم الجراثيم و الميكروبات التي قد تصيب الإنسان، وفوائده على الصحة لا تعد ولا تحصى، وكذلك على هرمونات الإنسان وإنزيماته الحيوية، فهو ينشط الغدد، ويجدد الخلايا كإكسير الشباب، ويقوي الأعصاب.

أما مقولة «يدق المسمار الأخير في النعش» وتعني الأمر الذي تراكم وتفاقم دون أن يلحظه أحد حتى تحصل حادثة ما وتظهره للملأ وتكشفه. تماماً كما يُدق النعش بالمسامير حتى يلتحم ويكون المسمار الأخير فيه هو دلالة على قرب دفنه تحت التراب.

مسمار جحا

يرتبط اسم جُحا الشخصية التاريخية الشهيرة بعالم الطرف والنوادر، أمّا مقولة «مسمار جُحا» التي كادت تغلب شهرتها جحا نفسه فهي تدل على الأمور الهامشية التي تؤدي إلى أمور جسيمة مع مرور بعض الزمن، كما تُقال أيضاً عند التحجج بأمور بسيطة وسطحية دون ذكر السبب الرئيس.

وفي الحكاية التراثية أن جُحا قرّر بيع بيته، واشترطَ على المشتري الجديد شرطاً بسيطاً وغالٍ على نفسه وهو أن يسمح له بزيارة البيت بين فترة وأخرى ليطمئنَّ على مسمارٍ مدقوق في الجدار ويذكّره بالمكان الذي توارثه عن أجداده. أمّا الذي حدث من بعد إتمام عملية البيع هو أنَّ جُحا ظلّ يتردَّدُ على البيت في كلِّ حين ليطمئنَّ على مسماره بإلحاح، ما سبب الإزعاج والقلق لأهل الدار، حتى تخلّوا عن البيت بالمسمار الذي فيه وهربوا قائلين «مسمار جُحا». وهكذا أصبح لـ«مسمار» جحا سمعة تنافسه على صيته.

في أبواب الخشب القديمة..

مسمار قديم

من الصعب أن يمر أحدنا من أمام باب خشبي قديم دون أن يتأمل حفر المسامير الكبيرة في الخشب، ويستدعي ذاكرة الحارات والأزقة الضيقة. ما زالت بعض هذه الأبواب الضخمة صامدة أمام الزمن كإرث فني تراثي، محتفظة بمساميرها الضخمة التي كانت جزءاً لا يتجزأ من ملامحه الفنية والجمالية.

للمسمار في الخشب دور ميكانيكي مهم، فلولا المسمار لما كان هناك باب بالمعني الحقيقي، فالمسمار هو المثبت الحقيقي وحلقة الوصل بين الباب والجدار، وهو عبارة عن المحور الأسطواني الأملس، وفي نهايته يستدق. كانوا عند تثبيته في الخشب يدهنونه بمواد تزيد من قدرته التثبيتية، بينما يتم تحديد مكان التثبيت على الخطوط الملائمة على سطح الخشب كي لا يسبب فلقه أو تعرضه لتشوهات. ولا يزال المسمار حتى يومنا هذا من أكثر الأنواع موثوقية في التثبيت، حيث لا يستغنى عنه في تركيب الهياكل الخشبية الكبيرة.

المسمار في الطب

مسمار القدم

وهو مسمار اللحم أو عين السمكة كما يسمى في بعض البلدان العربية، وهو عبارة عن بروز من نسيج لحمي ينمو على أطراف الأقدام وبين جوانب أصابع القدم. ويتكون من بقايا خلايا جلدية ميتة وقاسية تتراكم على سطح الجلد، تبدو على شكل بثور سطحية (غير معدية) ولديها قمع عميق يمتد تحت الجلد. وتظهر مسامير القدم نتيجة انتعال الأحذية الضيقة والقاسية، أو نتيجة الإصابة بأحد أمراض الروماتيزم أو السكري، ما قد يحدث خللاً في توزيع ثقل الجسم على الرجلين والقدمين.

المسمار النخاعي

كان علاج كسور عظمة الفخذ حتى مطلع القرن العشرين يتطلب رقوداً بالفراش لفترات تمتد لأشهر، وكان تضميد الكسر يقتصر على التجبيس. في سنة 1939م استخدم الجراح الألماني كانتشر جهازاً اخترعه لمعالجة كسور عظمة الفخذ من خلال وضعه مسماراً بثلاثة أجزاء مقطعية داخل القناة النخاعية للعظم المكسور لتساعد العظمة المتضررة على حمل وزن الجسم. واستخدم مسمار كانتشر كما أطلق عليه فيما بعد لعلاج الجنود الألمان المصابين في أثناء الحرب العالمية الثانية، للإسراع من عملية شفائهم وعودتهم إلى حياتهم الطبيعية.

مسامير الأسنان المثبتة

تستخدم مسامير التقويم التثبيتية أو التقويم في حالات بروز الأسنان أو تزاحمها. وهي من أحدث الطرق في علاج تشوهات ترتيب الأسنان، والتي أحدثت تغييراً جذرياً في طرق العلاج المعقدة في تقويم الأسنان. وتكمن أهمية استخدام تلك المسامير الطبية في قدرتها على تخطي صعوبات تحريك الأسنان في الاتجاهات المعينة والمطلوبة في الوصول إلى علاج تشوهات شكل الأسنان، وكذلك علاج العضة العميقة أو المفتوحة. وتم اختراع مسامير التقويم بشكلها الحالي من قبل طبيب تقويم الأسنان جريج مور في 1983م. وكان الهدف من وراء أبحاثه هو الوصول إلى طريقة لتثبيت الأسنان بعد تحريكها من مكانها. ولاقت هذه الطريقة رواجاً كبيراً لدرجة أنها أصبحت الطريقة التقليدية المعتمدة في عمليات التقويم، ولا يمكن الاستغناء عنها لعلاج تشوهات الأسنان المتداخلة. كما أنها قللت من احتماليات الحاجة إلى خلع الأسنان وقللت من فترة العلاج. وتتألف مسامير التقويم المثبتة من براغ مصنوعة من معدن التيتانيوم، ويتراوح طولها ما بين خمسة و 12 ملليمتراً، أمّا سماكتها فتتراوح ما بين واحد واثنين ونصف ملليمتر. ويتراوح سعر المسمار الواحد بين الأربعين والستين دولاراً أمريكياً. ولاستخدامات مسامير التقويم فوائد لا يمكن تحقيقها إلا بها، فاستخدام المسامير بالطريقة الصحيحة يقضي على أي فرصة لحدوث مضاعفات ممكنة نتيجة تحريك الجذور. كما أن استخدامها يقلل من فرص استخدام الأسلاك المزعجة والتي تسبب الإحراج بسبب شكلها البارز.

المسمار «القرنفل»

يطلق عليه في بلاد الشام «كبش القرنفل» ويتماثل شكله مع المسمار تماماً. ويُعرف باستخداماته المتعددة في الطب الشعبي في علاج حالات الضعف البدني وعسر الهضم، والأعراض التي ترافق التلبك المعوي مثل حرقة المعدة والغثيان والانتفاخ وطرد الغازات. كما يستخدم في دول الخليج العربي كمطيّب للشاي والقهوة، وذلك لرائحته العطرية الذكية. وكان يستخدم قديماً في تركيب الكحل لما فيه من فوائد في حدّ البصر وإزالة الغشاوة. كما يرتبط المسمار العويدي بالعديد من المعتقدات الشعبية حول ردّ الحسد وتهيئة أرحام النساء للحمل وتنظيم دورة الحيض، وكذلك في التخفيف من أعراض الوسواس وما يرافقه من سلوك سلبي بسبب رائحته التي تُدخل البهجة إلى النفس. تم التوصل، مؤخراً، إلى اكتشاف مادة كيميائية في المسمار أو العويدي يمكن استخلاصها واستخدامها كمادة مخدرة ومعقمة للثة. وتوصل لهذا الاكتشاف ثلاث باحثات عراقيات من خلال تقطير براعم زهور نبات القرنفل لإنتاج مادة اليوجنول، وهي المطابقة تماماً للمخدر المستخدم في طب الأسنان، وذلك يستخدمه الكثيرون بشكله الطبيعي لعلاج الآلام الموضعية في الأسنان بالعض عليه في موضوع الألم. أمّا من جهة أخرى فصدر تحذير طبي من مضاعفات استخدام القرنفل بشكل مبالغ فيه لوجود مادة اليوجنول نفسها، والتي تسبب إتلاف الأنسجة الباطنية وأهمها الكبد، وخصوصًا في حال تعاطيها من قبل شخص يعاني، أصلاً، مشكلات في وظائف الكبد والطحال.

المسمار في المنام

تشير كتب التحليل النفسي إلى أن المسمار يحمل دلالات أوضح من غيره من الأشياء التي يتم رؤيتها في الحلم، ويعدُّه العديد من مفسري الأحلام قبل سماع الحلم بأنه ينذر بالتعب الكثير والراحة غير اليسيرة، خصوصًا ما إذا كان المسمار صدئاً أو مكسوراً. وحتى لو كان شكل المسمار سليماً في الحلم فهو يدل على الجهد والتعب في الوصول إلى الغاية المرادة.

وفي كتب تفسير الأحلام إذا حلم الشخص بأنه تأذى من المسمار فهو دلالة على أذى فعليٍّ سوف يحدث. أما إذا تخلص الشخص من المسمار في نهاية الحلم فهو دلالة على قدرته على تخطي الأزمات.

وفي تفسير معاكس لمدرسة التحليل النفسي يقول بعضهم إن المسمار في الحلم يدل على الجنود والأعوان، وعلى الرزق الوفير.

المسمار أداة الربط والارتباط

يظهر المسمار اللولبي كأداة ربط محكمة، خصوصاً عندما تقوم بتثبيته بوساطة المفك. ولم يخطر على بال أحد أن رأس هذا المسمار اللولبي المحفور في وسطه إشارة السالب سيكون ملمح جمال!

عندما قام لوي كارتييه باختراع ساعة المعصم في عام 1904م، صممها بطريقة مبتكرة، حيث ثبت أطرافها بالمسامير، لم يكن يعلم أن مسامير ساعته، التي سماها سانتوس تيمناً باسم الشخص الذي صممها لأجله، ستكون هي العلامة الفارقة والجمالية لساعات ومجوهرات دار كارتييه العريقة. فكان مسمار الربط في مجموعته الحلي التي سماها لوف علامة الحب والارتباط الأبديين.. وذلك عوضاً عن فكرة القلب والمفتاح التي باتت مستهلكة في أمور الحب والزواج.

المسمار في الفن السابع

فلم «مسمار جُحا»

وهو فلم عربي تم إنتاجه في مصر وعُرِضَ في 1952م. ويعالج الفلم الوضع السياسي وشؤون الانتماء الوطني الذي كان محوراً سائداً للحياة الاجتماعية في تلك الفترة مع وجود الاستعمار البريطاني لمصر. وفي حبكة غير جديّة ومليئة بالتحوير لأقوال تاريخية معروفة ومستمدة من شخصية جحا التراثية تم إخراج الفلم للتعبير عن واقع الشارع العربي. كما وُضع على غلاف الفلم عبارة «قضيةُ البلاد العربية وأمانيها الوطنية». ولقد شارك في هذا الفلم مجموعةٌ كبيرةٌ من الممثلين اللامعين في تلك الفترة مثل إسماعيل ياسين، كمال الشنّاوي، ماري منيب، زكي رستم وغيرهم. أما أغاني الفلم فشارك في تلحينها سيّد درويش وزكريا أحمد. والجدير ذكره هو أن الفلم مأخوذ عن مسرحية الأديب العربي المعروف علي أحمد باكثير.

مسلسل «جحا المصري»

وهو مسلسل كوميدي اجتماعي مصري تم عرضه خلال شهر رمضان في عام 2002م على شاشة التلفاز المصري. وتناول المسلسل الحكاية التراثية الخاصة بشخصية جحا في إطار درامي معاصر، والذي قام بتجسيد دوره الممثل يحيى الفخراني بمشاركة منى زكي، سعاد نصر، رانيا فريد شوقي، أحمد رزق وغيرهم من نجوم الشاشة المصرية. أما المسامير في هذا المسلسل فجاءت بشكل رمزي متغير على مدى ثلاثين حلقة على شكل نوادر لأغراض النقد الاجتماعي على طريقة جُحا في ادعاء الغباء بأسلوب فكاهي في مواقف جدية.

مسلسل «مسامير» الكرتوني السعودي

مسلسل أسبوعي اجتماعي تم بثه إلكترونياً خلال عام 2011م، وتطرق إلى قضايا عديدة تهمُّ المجتمع السعودي بطريقة طرح جديدة. صمم المسلسل (أخرجه) الشاب السعودي مالك نجر بالتعاون مع الكاتب فيصل العامر. وعُدَّ البرنامج على أنه نقلة نوعية في ثقافة الإعلام السعودي الجديد. وتم اقتباس قصة المسلسل من كتاب يدعى «شغب» للكاتب فيصل العامر نفسه، والذي عبّر فيه عن رغبته في إصلاح بالمجتمع وتفادي الأخطاء التي تهز أواصره من خلال ممارسة النقد البنّاء.

فلم «المسمار» الأمريكي

فلم دراما اجتماعي عُرض في عام 2009م، ويروي قصة ملاكم من الوزن الثقيل يُدعى جوي ناردون، وهو ذو شخصية متضاربة ومتصارعة مع نفسها، بعد أن أمضى 8 سنوات في السجن نتيجة ارتكابه جريمة غير متعمدة. ويعود جوي إلى حياة منعزلة في المنطقة التي نشأ فيها في فيلادلفيا كغريب لا يربطه بالناس من حوله سوى ذكريات ما قبل دخوله السجن. ولكي يساعد نفسه على إتاحة الفرصة في التفكير وتخطي الشعور بالغربة، ولكي ينخرط في مظاهر الحياة الطبيعية، يسلّم وظيفة في الصالة الرياضية التي كان يتمرن فيها على الملاكمة. وفي خضم بحثه في إيجاد معنى لحياته، يلتقي طفلاً بورتوريكياً عمره 14 عاماً ويعاني آلاماً عاطفية ومراهقة غير سلسة، وتنشأ بينهما علاقة تعاطف من قبل جوي ما لبثت أن تحولت إلى صداقة متبادلة نتيجة تعرض الولد للضرب مراراً وتكراراً من قبل بلطجية الحي الذي يقطنون فيه. وبينما وجد جوي في صديقه الصغير إسقاطاً لمعاناته في شتى مراحل حياته، وجد الطفل في جوي صورة الأب والرفيق التي شوهها والده المدمن على الكحول. وتتجلى العلاقة في أوجّها عندما يدق كل واحد فيهما مسماراً على العقبة المعنوية التي تعترض طريقه حتى يتخطاها في رحلة من الكفاح من أجل الدفاع عن النفس، في قالب درامي مشوّق لتفاوت دروس الحياة في شدتها بين شخصين أحدهما بحث عن نفسه المفقودة في الشارع، والآخر في ساحات الملاكمة في فيلادلفيا، لأن الحياة تستحق دق مسامير الكفاح والأمل وإيجاد الفرص الجديدة بعد الخسارة. فلم المسمار مقتبس من قصة لرواية درامية معروفة تحمل الاسم نفسه، وكتبها المؤلف طوني لوكاس جونيور.

فلم «مسامير» الوثائقي

وهو فلم كندي تم إنتاجه وعرضه في عام 1979م، وهو من إخراج فيليب بورسوس، وتم ترشيحه في العام نفسه لجائزة الأوسكار لأفضل فلم وثائقي قصير. وكان موضوع الفلم ببساطة عن عملية تصنيع المسامير.

المسمار بطل الحواة

يقوم فقراء الهند كنوع من الاستعراض أمام المارة بالنوم على بساط من المسامير. وتطول هذه المدة وتقصر حد أنهم دخلوا موسوعة جينيس من خلال هذا النوم المؤلم. حيث نام الفقير الهندي فرنون كريج على لوح من المسامير مدة 25 ساعة و20 دقيقة. ولا يتوقف المسمار عند النوم عليه، بل تجاوز الحواة العرب والهنود هذه المسألة إلى ممارسات أخرى ومنها ابتلاعه.. كعمل خارق.

ذات ألواح ودسر

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ • أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. وقال ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ • وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾.

قال الحسن البصري، وقتادة، والأعمش: كان الله قد ألان لداوود الحديد حتى كاد يفتله بيده، دون أن يحتاج لنارٍ أو مطرقة، وذلك كي يعينه في عمل الدروع من الحديد ليحصن نفسه وقومه من مقاتلة الأعداء، كما كان من عمل الدروع من زرد، إذ كانت تصنع قبل ذلك من صفائح.

ويقول تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ • تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾.
وفي تفسير الطبري: وحملنا نوحاً إذ التقى الماء على أمرٍ قد قدر، على سفينة ذات ألواح ودسر. والدسر: جمع دسار، وقد يقال في واحدها: دسير، كما يقال: حبيك وحباك. والدسار: المسمار الذي تشد به السفينة، يقال منه: دسرت السفينة إذا شددتها بمسامير أو غيرها.

قرية خربة المسمار في قضاء القدس

وهي من القرى الافتراضية التي امّحى وجودها الفعلي على خارطة الطريق، وبقيت في أذهان القليل من الأجداد الذين لا يزالون أحياء في زمننا الحالي. وتقع في الجهة الشمالية الغربية من القدس وكانت جزءاً من قرية بيت ثول، والتي يعني اسمها في اللغة الآرامية التل أو الظل. وهي موقع أثري يحتوي على أعمدة وأنقاض تاريخية عديدة، كما أنها أرض زراعية خصبة مليئة بأشجار الزيتون. وبلغ عدد سكانها حتى عام 1945 م مئتين وستين شخصاً. والخربة كان مسمىً يطلق على الأطراف البعيدة للقرية والتي غالباً ما كانت مدخل القرية أو الجزء الأخير منها.

كتاب «المسامير» لعبدالله النديم

يُعدُّ عبد الله النديم من الشخصيات البارزة فكرياً وأدبياً، ونشأ النديم بالإسكندرية ومارس الكتابة منذ صغره حتى تم نفيه إلى الأستانة في عام 1893م، إذ تم على أثر ذلك منعه من الكتابة. وبسبب إقامته الإجبارية في تركيا شحّ عطاؤه الأدبي وتعطّلت مواهبه ومن ثم توقفت، وتحقق لمن نفاه مراده بعد أن سكت عن كل ما طالب به الزجّال الشهير. ولم تكن الأستانة منفى النديم الأول إلا أنها «مسمار» حياته الذي أنجاه من حبل المشنقة، ولم يتم إعدامه بسبب الضغوط الشعبيّة. يافا كانت منفاه الأول بعد أن أثار غضب الخديوي توفيق فأمر بإرساله خارج مصر. وما إن حطّ رحاله في يافا حتّى امتشق لسانه كالسيف في وجه الإنجليز، وشمل في مضمار هجومه السياسة العثمانيّة، ما أثار غضب السلطان بشدّة إلا أنه لم يستطع أن يتجاوز حد النفي حتى لا يثير حفيظة الجماهير الشعبية المتعاطفة مع النديم. ثمّ عرض عليه بعد فترة وجيزة أن يُقيم في الأستانة لكي يخفف من وطأة فورانه ويوظف طاقاته في ديوان المعارف، ليصبح النديم مفتّشاً للمطبوعات في الباب العالي تحت رقابة السلطان وإشرافه. لم يدم عمله طويلاً حتى أثارت حفيظته «مسامير» الدسائس والمكائد في قصر يلدز، ونشبت خصومات عديدة بينه وبين بعض الشخصيات الخبيثة والمقرّبة من السلطان. فوضع كتاب «المسامير» الذي كتبه بأشد أساليب الهجاء في شخصية وتصرفات أبي الهدى الصيادي. وهو أحد رجال الحاشية في بلاط السلطان عبد الحميد العثماني. وكان يسميه النديم «أبا الضلال» ففي مقدمة الكتاب وفصوله التسعة من المسامير أظهر النديم الشيطان كشخصية مهزومة وقليلة الحيلة أمام أبي الضلال، ما جعل الكتاب يُصنّف أحد نفائس فن الهجاء في التاريخ العربي.

كتاب «عدل المسامير»

هو كتاب من نوع مجموعة القصص القصيرة صدر سنة 2005م عن دار الشروق للكاتب خيري شلبي المعروف بتناوله واقع الشارع المصري بروح شعبية أصيلة حتى النخاع، كما أنه معروف بمعرفته الغزيرة وثقافته العالية وتعمقه في دراسة التاريخ الإسلامي.

ولاسم الكتاب معنيان قصدهما المؤلف، فالأول هو ما يعرفه جميع الناس، أمّا الآخر فيعرفه من انتهى من قراءة الكتاب، وهو ما يعني بالعامية المصرية: رتب أو نظم المسامير (عدّل المسامير). ويتناول شلبي في كتابه المفارقات الحياتية العديدة التي تواجه أبطال القصص كالمسامير، فمنهم من يستطيع أن «يعدّلها»، ومنهم من يستسلم لقدره تحت «عدل» المسامير.

رواية:
«الجنقو: مسامير الأرض»

تتمثل قناعات «الجنقو» في استغلال بنيتهم الجسدية في العمل بالمشاريع الزراعية لتوفير المال حتى لو تم استغلالهم. وذلك حتى يحصلوا على الكماليات من زينة وإكسسوارات ويخرجون بها يوم الخميس بكل ثقة عملاً بمثلهم القائل: «خميسك ولو تبيع قميصك». ولم يتغيروا عن قناعاتهم بالرغم من المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية العديدة. وتعكس رواية «الجنقو: مسامير الأرض» لمؤلفها الكاتب السوداني «عبدالعزيز بركة ساكن» الأجواء العجيبة لحياة الجنقو، المزارعين في المناطق الحدودية بين السودان وإثيوبيا وأرتيريا. وكيف تكيفوا مع واقع إدخال الآلات الزراعية الحديثة وخسارة المئات منهم لوظائفهم. وبالرغم من كل ذلك فلم تتبدل علاقتهم مع الزراعة والتجوال ومعتقداتهم عن دور المال والنساء.

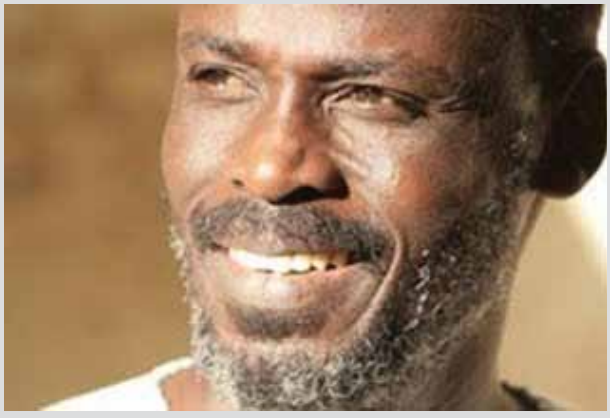

من جهة أخرى يُعد عبدالعزيز بركة الكاتب والناقد السوداني المعروف الذي فازت روايته «الجنقو: مسامير الأرض» بجائزة الطيب صالح للإبداع الروائي في دورتها لعام 2010م.

المسمار في الشعر العربي

للمسمار حضور خجول في الشعر العربي، لكنه في الشعر الحديث يغري الشعراء بأن يكونوا مثله أحياناً.. يقول قاسم حداد في نص ساحر:

«كنت القدم العارية كنت شظية القلب الضاري كنت مسمار الباب مارقا زهرة الصدر كنت أسئلة الكهرباء كنت نحيب الأبجدية كنت ميراث الكتب كنت شظف الخبز في العائلة كنت الحديد فاضح الليل كنت عاج العفة تقية التجديف كنت الشهوة الخفيفة كنت التميمة وصمت الناس كنت الدمث».

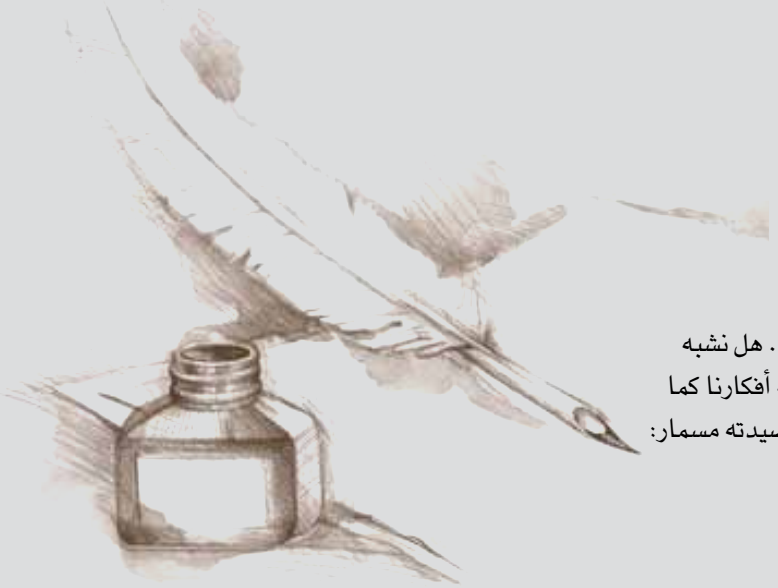

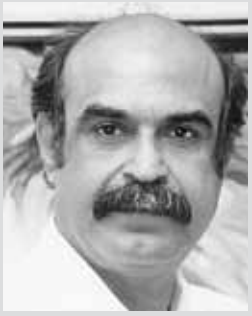

الشاعر قاسم حداد

الشاعر محمد خضر

الشاعر محمد الماغوط

بعد نص حداد يتبادر السؤال إلى أذهاننا.. هل نشبه حقاً المسمار كما يقول الشعراء؟ ربما يشبه أفكارنا كما يقول الشاعر السعودي محمد خضر في قصيدته مسمار:

يشبه أفكارنا
تماماً
نحن أصحاب الحل الوحيد
أصحاب الاعتقاد
أن كل شيء
متاح لفك العقدة
أن الارتباط
مسألة شخصية جدا
حتى لو صدئت الأخشاب
التي يسميها الآخرون
مكاناً خصباً لرأس أفكارنا

المسمار ليس سيئاً حتى وإن أسقط عليه نزار قباني صفة الجمود حيث قال:

إني خيرتُك فاختاري
ما بينَ الموتَ على صدري..
أو فوقَ دفاتر أشعاري..
اختاري الحبَّ.. أو اللاحبَّ
فجُبنٌ ألا تختاري..
قولي. انفعلي. انفجري
لا تقفي مثلَ المسمارِ..

ويخالفه محمد الماغوط إذ يرى المسمار غير ذلك، فهو في قصيدة «تكوينات» التي يوجهها إلى يوسف الخال مادحاً، يقول:

أنت من احتضنتنا بأسمالنا، وقملنا، وجوعنا،
ورعبنا، ودموعنا،
ولسعات السياط على ظهورنا من البلاد التي
جئنا منها.
وأعطيت لكل منّا
سقفاً ليقيم..
ورغيفاً ليأكل..
ودفتراً ليكتب..
ووسادة ليحلم..

• • •

نعم أنت المسمار المقتلع من إحدى راحتي
سبارتاكوس
لتعلّق لوحة لرفيق شرف الحافي القدمين بين
أعمدة بعلبك
وخرائبها

كثيرة هي قصائد الشعراء التي ذكرت المسمار ضمن كائنات المكان، حيث كان مثيراً للتوظيف والتشبيه في قصائدهم.

القثامي.. يستنطق المسامير

في عمل سيريالي نفذه الفنان التشكيلي السعودي فهد القثامي عام 2007م، بدت مساميره كأنها شخوص تحكي «حكاية المسامير»، كما أطلق على عمله. بدأ هذا العمل الذي يتكون من أكثر من قطعة عندما وقع بصره بالمصادفة على مسمار يقف مهمشاً في إحدى لوحاته. أبحر الفنان مع هذا الكائن الذي له رأس.. وكأن له كياناً وروحاً، وحياة تشبه حياتنا. من هنا انطلقت حكاية المسامير، حيث جعل كل من يشاهد هذا العمل يتخيل قصة ما: مسمار منغرس حد الموت والكآبة في لوح خشبي، عندما قرر أن ينهض ليكون واحداً من بين المسامير الكثيرة في الحياة، التقى مسماراً أقصر منه، يوحي من طوله ورقته أنها ربما كانت أنثى تمثل شريكة الحياة التي يتمنى.. لكن الحياة قاسية حد الموت، فيدفعان على سكة قطار ليواجها الموت معاً. ربما كانت الحكاية هكذا.. ربما كانت حكاية أخرى.. لكن مما لا شك فيه أن القثامي استنطق المسامير.. وجعل المتلقي يبحر في الحكايات وينسجها.